الجزء الثاني المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ
نيسان ١٩٨٣ م

ابو جعفر الطبري ومنهجه في القراءات

الدكتور عبد الحسين الفتلي

كتب عن هذا العالم الكبير كثير من الدراسات والبحوث وألفت عن تفسيره « جامع البيان » رسالة دكتوراه ، لذا فسوف أذكر شيئاً مقتضباً عن حياته وكتبه لأتعرض بعد ذلك لآرائه في القراءات .

فهو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري نسبة الى « طبرستان » استوطن بغداد وأقام بها الى حين وفاته . .(١) وكان أحد الأئمة الذين يُحكم بقولهم، ويُرجع الى رأيهم لمعرفته وفضله . وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره . وكان حافظاً لكتاب الله . عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس واخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب التفسير لم يصنف احد مثله – يعني كتاب « جامع البيان» – وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلاّ أنه لم يتمه. (٢)

وقال البغدادي أيضاً : وله في أُصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار

---

(١) تاريخ بغداد ١٦٢/٢ ، ومعجم الأدباء ٤٠/١٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٦٢/٢ .

من أقاويل الفقهاء ، وتفرد بمسائل حفظت عنه . . » (٣)
وكان الطبري كثير السماع والرحلة جمع المسندين على الرجال والأبواب وصنف حديث الأئمة ، مالك ، والثوري ، وشعبة ، ويحيى بن سعيد وغيرهم . سمع محمد بن حميد الرازي ، واحمد بن ابي منيع البغوي ، ومحمد بن زنبور المكي ، وابا كريب محمد بن العلاء الهمداني ، وابراهيم بن احمد ابن يعيش ، ويحيى بن حكيم المقوم ، وعلي بن سعيد بن شهريار ، ومحمد ابن المثنى العنزي ، وسلم بن جناده ، ومحمد بن سهل بن عسكر ، وعبدالجبار ابن العلاء ، وسعيد بن عبدالرحمن المخزومي ، ومحمد بن حسان الأزرق . (٤)
وذكر أن قوماً من تلاميذه احصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة ، وهذا شئ لايتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق . . (٥)
وذكر في تاريخ بغداد . . (٦) وحدث فيما أسنده إلى أبي بكر بن بالويه قال : قال لي ابو بكر محمد بن اسحاق — يعني ابن خزيمة بلغني انك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ، قلت : نعم كتبنا التفسير عنه إملاءً ، قال : كله ؟ قلت : نعم ، قال : في اي سنة ؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين ، قال : فاستعاره مني ابو بكر ورده بعد سنين ، ثم قال : نظرت فيه من اوله الى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير . . »
وكانت ولادته في سنة خمس وعشرين ومائتين ، ووفاته سنة عشر وثلاثمائة يوم السبت لأربع بقين من شوال ، ودفن في داره . . .(٧)

---

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٦٣/٢ .
(٤) انظر تاريخ بغداد ١٦٥/٢ والمعجم ٤٥/١٨ .
(٥) انظر معجم الأدباء ٤٤/١٨ . (٦) ١٦٢/٢ ، وانظر معجم الأدباء ٤٣/١٨ .
(٧) انظر تاريخ بغداد ١٦٤/٢ ومعجم الأدباء ٤٠/١٨ .

وذكر البغدادي أنّ الطبري كان أسمر الى الأدمة ، أعين ، نحيف الجسم مديد القامة ، فصيح اللسان ، وكان السواد في شعره رأسه ولحيته كثيراً . .(٨) وقال ياقوت : وذكر غير الخطيب البغدادي أنه دفن ليلاً ، وأما الخطيب فانه قال : ولم يؤذن به احد فاجتمع على جنازته من لايحصي عددهم إلاّ اللهُ ، وصلّي على قبرهِ عدة شهور ليلاً ونهاراً ورثاه خلق من أهل الـدين والأدب . . . » (٩)

مقدمة عن القراءات

ليس هناك كتاب سماوي مثل القرآن الكريم قد أُحيط بالعناية والرعاية والتقدير فحفظ على نصه وقراءته دون المساس بلفظه او معناه . وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله « إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا لَهُ لحافظُونَ » . .(٩) وليس غريباً ان يكون علم القراءات من أسبق العلوم المختلفة في العربية لأنه واكب النص المُنزّل ، كما واكبهُ علم التفسير بعد تكامل سور الفرقان العزيز ، كما كان للقراءات اتصال وثيق باللغة والنحو والصرف والبلاغة وربما كـانت العناية بالقراءات القرآنية قد مهدت الطريق لقيام الدراسات اللغوية والنحوية ـ إذا ماعلمنا انّ أحد اسباب نشأة النحو هو الحفاظ على القرآن الكريم من أي لحن أو تحريف ـ الى جانب علم القراءات الذي تبارى الكثير من العلمـاء بدراسته دراسة دقيقة متوخين من وراء ذلك صيانة هذا الكتاب المقدس . ونشأ عن هذا الأمر علم التفسير .

قال الدمياطي : ولم تزل العلماء تستنبط عن كل حرف يقرأ به قارئٌ

(٨) انظر معجم الأدباء ٤٠/١٨ وتأريخ بغداد ١٦٤/٢ .

(٩) الحجر : ٩ .

(١٠) اتحاف فضلاء البشر : ٥ ، وانظر مجلة جامعة الموصل العدد السادس آذار ١٩٧٩ مقالا د . كاصد الزيدي .

معنى لايوجد في قراءة الآخر . . (١٠) فعلماء اللغة المتقدمون واصحاب الدراسات القرآنية كانوا يوجهون القراءات المتعددة الشائعة منها والشاذة توجيهاً قائماً ، على اللغة وعلومها ، وكما هو معروف أن أول كتاب في النحوهو كتاب سيبويه الذي لم يترك موضوعاً إلاّ استشهد بالآيات القرآنية مشيراً في أكثر الأحايين الى اختلا ف القراءات في هذه الشواهد محتجاً لها بالشعر وربطها بلغات العرب واساليبهم في التعبير – ناهيك عن ميل أكثر النحاة بعد سيبويه الى التأليف في معاني القرآن والقراءات ، فالفراء مثلاً قد ألف كتاباً سماه « معاني القرآن » وكذلك الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة من البصريين قد الّف كتاباً في العنوان نفسه ، وابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى « ٢١٠ هـ » والمبرد « ٢٨٦ هـ » والزجاج « ٣١٠هـ » ثم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري .

ومع هذا النشاط في التأليف الذي يتعلق بالقرآن وقراءاته وتفسيره كان القراء السبعة انفسهم يتحرجون من أن يقرأوا بمالم يقرأ به القراء فقد ذكر ابو بكر بن مجاهد عن الأصمعي انه قال : سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : لولا انه ليس لي ان أقرأ إلاّ بما قرئ به لقرأت حرف كذا وكذا وحرف كذا وكذا . . » (١١) فالقراءة المتلقاة بالقبول هي تلك التي تعتمد على الرواية قبل كل شيء وليست تلك التي يقرأ بها اجتهاداً وقياساً لجوازها في العربية ، فالجائز في العربية لايقرأ به إذا لم يكن له اصل ، أو بعبارة أخرى لايقرأ به إذا لم تكلله الرواية الصحيحة المقبولة ، ولذا عد الباحثون في القراءات عدم الاتّباع في القراءة سفهاً بغير علم .. (١٢) وهذا ماتمسك به أبو جعفر الطبري في كتابه الكبير « جامع البيان » فقد قال : وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ماجاز في العربية ، لأن القراءة إنما هي ماقرأت به الأئمة الماضية

(١١) ابن مجاهد كتاب السبعة : ٤٨ .

(١٢) انظر بحث « القراءات القرآنية بين الاتباع والقياس » مجلة جامعة الموصل : ١٤ : د . كاصد الزيدي .

وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم . . . » (١٣)
وكتاب أبي جعفر الطبري هذا في التفسير والقراءات ، أفاد الكثير من أجيال الدراسين ، لأنه انعقد على مبادئ وأسس علمية ولغوية ونحوية سنحاول في هذا البحث ان نشير الى جزء من معالمها وملامحها .

منهج الطبري في القراءات ومصادره

يعتمد كثيراً على قراء الأمصار ويعدّ ماجاء عنهم امراً مسلماً به لايمكن الخروج عليه ولو تعارض ذلك مع اللغة او القواعد النحوية ، كذلك يعتبر الحجة من القراء هم المعول على آرائهم ، فما قرأ به السلف لايسمح بغيره وينقل الكثير من آراء هؤلاء القراء من مختلف الأمصار من أهل مكة والمدينة وأهل الكوفة والبصرة وأحياناً ينقل عن اهل الشام ، وينقل عن النحاة واللغويين أمثال أبي العلاء وأبي اسحاق الحضرمي وعيسى بن عمرو ، ويونس بن حبيب وابي عبيدة والكسائي والفراء ، وعن رواة الحديث والمفسرين أمثال ابن عباس والحسن البصري وابن مسعود وقتادة والأعمش . ويبدو واضحاً تأثير معاني الفراء على كتابه « جامع البيان » لأنه ينقل عنه كثيراً من الآراء في التفسير واللغة والنحو والقراءات وهو — كما رأينا — من المعنيين بعلم القراءات. ولايتسامح أبداً في مخالفة خط المصحف ، وشواهده من الشعر والرجز كثيرة لاتعد ولاتحصى كلها لقبائل مشهورة معروفة من العرب ممن يستشهد بشعرهم . وعلى الرغم من استعانته ببعض الأقوال لقراء مشهورين كابن كثير وابن عامر والكسائي وحمزة وابي عمرو بن العلاء فانه يتدخل أحياناً في الشرح ويرد على بعض الآراء التي لايرتضيها ، وقد يختار رأياً يقره ويدلل على صحته . وما أكثر الآراء التي يذكرها ويعرض عنها في النهاية لأنها ليست بمقبولة عنده ، فشخصيته بارزة وآراؤه سديدة قاطعة في كل مايذكره ، لأنه كان فقيهاً

(١٣) انظر : جامع البيان ١٤٥/٢٢ .

بلغ مرتبة الاجتهاد ، عالماً بالخلاف بين المذاهب ، وكان له مذهب خاص واتباع وكان من أئمة الحديث وحفاظه (١٤) وصاحب تأليف مشهورة في كل العلوم .

والذي يدرس كتابه « جامع البيان » يمكنه ملاحظة أمور ، هي :

١ــ اعتمادهُ على السماع ، ومايحكى عن العرب ، والاهتمام بلغات القبائل.

٢ــ النقل عن العلماء المشهورين واحترام المنقول ، واعتماده على اللغات المعروفــة .

٣ــ القياس على الاشهر من اللغات والاعتداد بما أجمع عليه العرب .

٤ــ يذكر آراء متعددة ثم يستخلص منها رأياً يرتضيه لايحيد عنه .

٥ــ لايعتد بالشاذ حتى في شواهده الشعرية .

٦ــ لايمكن الخروج على خط المصحف ولو تعارض ذلك مع قواعد الأملاء أو قواعد اللغة .

٧ــ كثيراً مايذكر قراءتين أو ثلاثاً يرتضيها كلها ، لكنه في بعض الأحايين يفضل واحدة منها لاعجابه بها .

٨ــ اهتمامهُ بتقارب المعنى وأحق اللغات التي يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرهم فيهم .

٩ــ عدم الاعتراض على الحجة من السلف ، لذا فهو يكرر عبارة والقراءة التي لاأستجيز غيرها لاجماع الحجة من القراء عليها أولى بالصواب عندنا .

١٠ــ يرد على قراء مشهورين من القراء السبعة مثل عاصم وابن كثيــر والكسائي وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم .

١١ــ يذكر قراءات مشهورة لدى الأمصار ويعجب بقراءة منها غيــر مخطّئ للقراءات الاخرى .

---

(١٤) انظر معجم الأدباء ٤٠/١٨ . وتاريخ بغداد ١٦٢/٢ .

١٢– يذكر قراءتين مشهورتين فيعلق عليهما في أكثر المرات أحياناً وأحياناً يتركهما بلا تعليق .

وعلى هُدى هذه الملاحظات سنستعرض لطرف من القراءات التي ذكرها في كتابه الكبير « جامع البيان » .

أولاً : اجماع الحجة من القراء : قال : وقد اختلفت القراء في قراءة قوله « أَصحابُ الجنةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكهون » (١٥) فقرأت ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه « في شُغْلٍ » بضم الشين وتسكين الغين . وقد روي عن أبي عمرو الضم في الشين والتسكين في الغين والفتح في الشين والغين جميعاً ، « في شَغَلٍ » . وقد قرأ ذلك بعض أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة « في شُغُلٍ » بضم الشين والغين . والصواب في ذلك عندي : بضم الشين والغين أو بضم الشين وسكون الغين ، فبأي ذلك قرأ القارئ فهو مصيب ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قراء الأمصار مع تقارب معنييهما ، وأما قراءته بفتح الشين والغين – وهي قراءة أبي عمرو – فغير جائزة عندي لاجماع الحجة من القراء على خلافها .. » (١٦) وقال : اختلفت في قراءة قوله « ألم تر أنَّ اللهَ سَخرَّ لكم ما في الأرضِ والفُلْكَ تجري » (١٧) فقرأته عامة قراء الأمصار « والفُلْكَ » نصباً بمعنى سخر لكم مافي الأرض والفُلْكَ عطفاً على « ما » وعلى تكرير « أنّ » وأنّ الفلك تجري . وروي عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعاً على الابتداء ، والنصب وهو القراءة عندنا في ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه . . . » (١٨) وقال: اختلف القراء فيقراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار إلاّ ابن كثير « والذينَ هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ » (١٩) على الجمع ، وقرأ ذلك ابن

(١٥) يس : ٥٥ .
(١٦) انظر جامع البيان ١٨/٢٣ .
(١٧) الحج : ٦٥
(١٨) جامع البيان ١٩٧/١٧ .
(١٩) المؤمنون : ٨

كثير « لأمانتهم » على الواحدة ، والصواب من القراءة عندنا « لأماناتهم » لاجماع الحجة من القراء عليها . . . » (٢٠)

وقال : وقرأت قراء الأمصار « يكاد سنا برقه يذَهبُ بالابصار » (٢١) بفتح الياء من « يذهب » سوى ابي جعفر القارئ فانه قرأ بضم الياء « يُذهب بالأبصار » والقراءة التي لااختار غيرها هي فتحها لاجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأن العرب اذا أدخلت الباء في مفعول « ذهبت » ولم يقولوا : إلاّ ذهبت به دون أذهبت به ، واذا أدخلوا الألف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله فيقولون : أذهبته وذهبت به . . . (٢٢)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « غُلبت الروم في أدنى الأرض » (٢٣) فقرأته عامة قراء الأمصار « غُلبت الرومُ » بضم الغين . بمعنى أن فارس غلبت الروم ، وروي عن ابن عمر أنه كان يقرأ « ألم غَلَبت الرومُ » فقيل له : ياأبا عبدالرحمن : على أي شئ غلبوا قال : على ريف الشام ، والصواب الذي لايجوز غيره « الم غُلبت الرومُ » بضم الغين ، لاجماع الحجة من القراء عليه .

وقال : واختلف القراء في قراءة قوله « وأنَّ اللهَ لايضيعُ أَجرَ المؤمنين»(٢٥) فقرأ ذلك بعضهم بفتح الألف من « أنَّ » بمعنى : « يستبشرون بنعمة من الله وفضلٍ » (٢٦) وبأنَّ الله لايضيع أجر المؤمنين ، وبكسر الألف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك بأنها في قراءة عبدالله « وفضلٍ » والله لايُضيع أجر المؤمنين » قالوا : فذلك دليل على أنَّ قوله « وإنَّ اللهَ » مستأنف على غير متصل بالأول ، وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك « وأنَّ الله » بفتح الأول

---

(٢٠) جامع البيان : ٥/١٨ .
(٢١) النور : ٤٣ .
(٢٢) جامع البيان ١٥٤/١٨ .
(٢٣) الروم : ٣ .
(٢٤) جامع البيان : ١٦/٢١ .
(٢٥) آل عمران : ١٧ .
(٢٦) آل عمران : ١١٧ .

لاجماع الحجة من القراء على ذلك . . .(٢٧)

وقال : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار « وإذ قال ابراهيم لأبيه آزرَ » (٢٨) بفتح « آزر » على اتباعه في الخفض ، ولكنه لما كان اسماً اعجمياً فتحوه إذ لم يجروه وإن كان من موضع خفض .

وذكر عن أبي يزيد المديني والحسن البصري انهما كانا يقرآن ذلك « آزرُ » بالرفع على النداء ، بمعنى : ياآزرُ ، فأما الذي ذكر عن السدّي من حكايته أن آزر اسم صنم ، وانما نصبه بمعنى : أتتخذ آزر أصناماً آلهة ، فقول من الصواب من جهة العربية بعيد ، وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعل بعد حرف الاستفهام ، لاتقول : أخاك أكلمت ؟ وهي تريد : أكلمت أخاك .

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من فتح الراء من آزر ، على اتباعه اعراب الأب وأنه في موضع خفض ، ففتح إذ لم يكن جارياً ، لأنه اسم أعجمي وإنما أُجيزت قراءة ذلك كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ، وإذا كان ذلك هو الصواب من القراءة وكان غير جائز أن يكون منصوباً بالفعل الذي بعد الاستفهام صح لك فتحه من أحد وجهين :

إما أن يكون اسماً لأبي ابراهيم فيكون في موضع خفض رداً على الأب . ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسماً أعجمياً ترك اجراؤه ففتح كما فتح العرب في اسماء العجم . أو يكون نعتاً له فيكون أيضاً خفضاً بمعنى تكرير اللام عليه ولكنه لما خرج مخرج أحمد وأسود ترك اجراؤه وفعل به كما يفعل بأشكاله فيكون تأويل الكلام حينئذٍ وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة » (٢٩)

---

(٢٧) انظر جامع البيان ١٧٥/٤ . (٢٨) الأنعام : ٧٤ .

(٢٩) الأنعام : ٧٤ وانظر جامع البيان ٢٤٣/٧ ، وانظر مثلا ٢٣٢/٢٨ ، ٢٤٥/١٥ ، ١٨/١٣ . ٨٢/٢٥ ، ١٣/١٨ ، ٢١٠/١٦ ، ١٦٧/٧ ، ٦٥/٦ ، ٢٩/٢٦ ، ٨٢/٢٥ ، ٢٨٤/١٥ . ١٩/٢٦ .

ثانياً : الاعتماد على السماع ومايحكى عن العرب ومايجري على ألسنتها يلتزم السماع في آرائه متابعاً للكوفيين التزاماً دقيقاً حتى في المصطلحات مثل الجحد والصرف والترجمة والتفسير والصفة فيحروف الجر والظروف والنسق ومالم يسم فاعله والمكنى وغير ذلك من اصطلاحات الكوفيين المعروفة .

كما يهتم بما يحكى عن العرب الفصحاء الذين يعتد بلغتهم وخاصة القبائل المشهورة كقيس وتميم وبني الحارث ، والأزد وبني أسد وأهل الحجاز الذين يطلق عليهم أحياناً « بأهل العالية » وهذه بعض الأمثلة على ذلك وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى .

قال : اختلف القراء في قراءة قوله « لاتُضارٌ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده » (٣٠) فقرأه عامة قراء أهل الحجاز والكوفة والشام « لاتُضارَّ والدةٌ بولدها » بفتح الراء بتأويل ، لاتضارر على وجهة النهي ، وموضعه إذا قرئ كذلك جزم غير أنه حرك إذ ترك التضعيف بأخف الحركات وهو الفتح ، ولو حرك الى الكسر كان جائزاً اتباعاً لحركة لام الفعل حركة عينه ، وإن شئت فلأن الجزم إذا حرك حرك الى الكسر .

وقرأ بعض أهل الحجاز وبعض أهل البصرة ، لاتضارُّ والدةٌ بولدها » فَعَلَ ومن قرأه كذلك لم تحتمل قراءته معنى النهي ، ولكنها تكون بالخبر عطفاً بقوله « لاتضارَّ » على قوله « لاتكلف نفسٌ إلاّ وسعها » وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معنى من رفع « لاتضارُّ والدةٌ بولدها » هكذا في الحكم أنه « لاتضارَّ والدةٌ بولدها » أي ماينبغي أن تضار ، فلما حذفت « ينبغي » وصار تضارّ في موضعه صار على لفظه ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

على الحَكم المأتيّ يوماً إذا قضى قضيَّته أن لا يجورَ ويقصدُ

فزعم أنه رفع « يقصد » ينبغي ، والمحكي عن العرب سماعاً غير الذي قال

(٣٠) البقرة : ٢٣٢ .

وذلك أنه روي عنهم سماعاً : فتصنع ماذا ، إذا أرادوا أن يقولوا : فتريدَ أن تصنع ماذا ، فينصبونه بنيّة « أن » وإذا لم ينووا « أن » ولم يريدوها قالوا : فتريدُ ماذا ، فيرفعون « تريد » لأنه لاجالب لأن قباه، كما كان له جالب قبل تصنع فاو كان معنى قوله : لا تضارّ إذ قرئ رفعاً بمعنى ينبغي أن تضارَّ أو ماينبغي أن تضارَّ ثم حذف ينبغي وأن ، وأقيم تضارّ مقام ينبغي لكان الواجب أن يقرأ إذا قرئ بذلك المعنى نصباً لارفعاً ليعلم بنصبه المتروك قبله المعنى المراد كما فعل بقوله : فصنع ماذا ، ولكن معنى ذلك ما قلنا اذا رفع على العطف على « لاتكلف » ليست تكلفُ نفس إلاّ وسعها ، وليست تضارُّ والدةٌ بولدها يعني بذلك أنه ليس ذلك في دين الله وحكمه .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بالنصب ، لأنه نهي من تعالى ذكره كل واحد من أبوي المولود عن مضارة صاحبه له . . . (٣١) وقال : اختلفت القراء في قراءة « ولله عَلَى الناسِ حِجُ البَيتِ منْ استطاعَ إليهِ سبيلاً » (٣٢) فقرأ جماعة من أهل المدينة والعراق بالكسر « ولله على الناسِ حِـــجُ البيتِ » وقرأ جماعة أخرى منهم بالفتح « ولله على الناسِ حَجُ البيتِ » وهما لغتان معروفتان للعرب ، فالكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغة أهل العالية ، ولم نر أحداً من أهل العربية ادعى فرقاً بينهما في في قوله « لقد تقطّع بينَكم » (٣٤) فقرأته عامة قراء أهل المدينة نصباً بمعنى لقد تَقَطَّع مابينكم . وقرأ ذلك عامة قراء مكة والعراقيين «لقد تَقَطّع بينُكم » رفعاً بمعنى لقد تقطع وصلكم .

والصواب من القول عندي في ذلك أن يقال أنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، ذلك أن العرب قد تنصب « بين» في موضع الأسم ذكر سَماعاً منها،إيابي نحوَك ،ودونَك وسواك ،

(٣١) جامع البيان ٤٩٦/٢ .
(٣٢) آل عمران : ٩٧ .
(٣٣) جامع البيان ١٨/٤
(٣٤) الأنعام : ٩٤ .

نصباً في موضع الرفع ، وقد ذكر عنها سَماعاً الرفع في « بين » إذا كان الفعل لها وجعلت اسماً وينشد بيت مهلهل :

كأنَّ رِماحَهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينُ جالبها جرورُ

برفع « بين » إذ كانت اسماً ، غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة وفي حال كونها اسماً . . . » (٣٥)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله «فَجعلناهم سَلَفاً ومَثَلاً للآخرين»(٣٦) فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم « فجعلناهم سُلُفاً » بضم السين واللام توجيه ذلك منهم الى جمع سليف من الناس وهو المتقدم أمام القوم ، وحكى الفراء أنه سمع القاسم بن معن يذكر أنه سمع العرب تقول : مَضَى سَلِيفٌ من الناس .

وقرأته عامة المدينة والبصرة وعاصم « فجعلناهم سَلَفاً » بفتح السين واللام وإذا قرئ كذلك احتمل أن يكونَ مراداً به الجماعة والواحد، والذكر والأُنثى لأنه يقال للقوم : أنتم لنا سَلَفٌ ، وقد يجمع فيقال : هم أسلافٌ .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة مَن بفتح السين واللام ، لأنها اللغة الجوداء والكلام المعروف عند العرب ، وأحق اللغات أنْ يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم . . . » (٣٧)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « لَقَدْ كان لكَم فيهم أُسوَةٌ » (٣٨) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار « إسوةٌ » بكسر الألف خلا عاصم بن أبي النجود فانه قرأه . . . . . بالضم من « أُسوة » وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله « لقد كان لكم فيهم أُسوةٌ » بالضم .

وهما لغتان ، وذكر أن الكسر في أهل الحجاز والضم في قيس، يقولون :

(٣٥) جامع البيان ٢٧٩/٧ .
(٣٦) الزخرف : ٥٦ .
(٣٧) جامع البيان ٨٤/٢٥ .
(٣٨) جامع البيان ٢١ / ١٤٣ .

أسوة وأخوة . . (٣٩)

وقال : وقد اختلفت القراء في قوله « فَكُلي واشربي وقَرِي عَيْنَاً » (٤٠) فأما أهل المدينة فقرأوه « قَرَي » بفتح القاف على لغة من قال : قَرِرتُ بالمكان أقَر به . وقَرِرت عيناً أقر به قروراً ، وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة .

فأما أهل نجد فأنها تقول : قَرَرتُ به عيناً أقر به قراراً، وقَرَرتُ بالمكان أقِرُ به فالقراءة على لغتهم « وقَرِىَ » بكسر القاف ، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف (٤١) وقال : وقد اختلف القراء في قراءة « إنَّ هذانِ لساحران » (٤٢) فقرأته عامة قراء الأمصار « إنَّ هذانِ » بتشديد النون من «إنَّ » وبالألف في « هذان » وقالوا قرأنا ذلك كذلك .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنَّ خفيفة في معنى ثقيلة وهي لغة لقوم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى « ما » وقال بعض نحويي الكوفة ذلك على وجهين :

أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف ، وقد أنشدني رَجُل من الأزد عن بعض بني الحارث بن كعب :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مَسَاغاً لناباه الشجاع لصمما

وقد حكي عنه أيضاً : هذا خط يدا أخي أعرفه . قال : وذلك إن كان قليلاً أقيس لأن العرب قالوا : مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لأنها لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم ، قالوا : فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحاً تركوا الألف تتبعه قالوا : رجلان في كل حالٍ .

(٣٩) جامع البيان ١٤٣/٢١ .
(٤٠) مريم : ٢٦ .
(٤١) جامع البيان ٧٤/١٦ .
(٤٢) طـه : ٦٣ .

قال : وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض ، وهما إثنان إلاّ بني كنانة فأنهم يقولون : رأيت كلي الرجلين ، ومررت بكلي الرجلين ، وهي قبيحة قليلة ، مضوا على القياس قال : والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألَف من هذا دعامة وليست بلام « فَعْلَى » فلما بنيت زدت عليها نوناً ثم تركت الألف ثابتة على حالها ، لاتزول بكل حال ، كما قالت العرب : الذي ، ثم زادوا نوناً تدل على الجمع . فقالوا : الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا « هذانِ » في رفعه ونصبه وخفضه ، قال : وكان القياس أن يقولوا : الذّونَ . . . » (٤٣) وقال : واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى : « لو شِئتَ لاتخذتَ عَليهِ أَجراً » (٤٤) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة ، على التوجيه منهم له إلى أنه لافتعلت من الأخذ وقرأ ذلك بعض أهل البصرة « لو شئت لتخذتَ » بتخفيف التاء وكسر الخاء ، وأصله لافتعلت ، غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكامة . ولأن الكلام عندهم في فعل ويفعل من ذلك : تخذت فلان كذا يتخذه تخذاً ، وهي لغة فيما ذكر لهذيل ، وقال بعض الشعراء :

وقد تخِذت رحلي لدى جنب غَرْزِها
نسيفاً كافحوص القطاة المطرقِ

والصواب أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب ، غير أني اختار قراءته بتشديد التاء لافتعلت ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما وأكثرهما على ألسن العرب . . . (٤٥)

وقال : اختلف القراء في قراءة قوله « إنّ يأجوج ومأ جوج » (٤٦) فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم « أنّ ياجوج ومأجوج » بغير همز على فاعول من يججتُ ومججتُ ، وجعلوا الألِفين فيهما زائدتين غير عاصم

(٤٣) جامع البيان ١٨٠/١٦ .
(٤٤) الكهف : ٧٧ .
(٤٥) جامع البيان : ٢٩١/١٥ .
(٤٦) الكهف : ٩٤ .

ابن أبي النجود والأعرج فأنه ذكر انهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعاً ، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام ، وكأنهما جعلا يأجوج يفعول من أججت ومأجوج مفعول .

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا أن ياجوجَ وماجوجَ بألفٍ بغير همز لاجماع الحجة من القراء عليه وانه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة :

لو أنّ ياجوج وماجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تُبّعا(٤٧)

وهما أُمتان من وراء السد .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « وأنه أَهلك عاداً الأولى » (٤٨) فقرأته عامة قراء المدينة وبعض قراء البصرة « عاداً لوُلى » بترك الهمز وجزم النون حتى صارت اللام في الأولى كأنها لام مثقلة ، والعرب تفعل ذلك في مثل هذا ، حكي عنها سماعاً منهم « قم لآن عنا » يريد : قم الآن ، جزموا الميم لما حركت اللام التي مع الألف في الآن » وكذلك تقول : صم اثنين « يريدون : صم الاثنين » . وأما عامة قراء الكوفة وبعض المكيين فأنهم قرأوا ذلك باظهار النون وكسرها وهمز الأولى على اختلاف في ذلك عن الأعمش ، فروي أصحابه عنه غير القاسم بن معن موافقة أهل بلده في ذلك . وأما القاسم ابن معن فحكي عنه عن الأعمش أنه وافق في قراءته ذلك قراء المدينة .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ماذكر نا من قراءة الكوفيين ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، وان قراءة من كان من أهـــل السليقة فعلى البيان والتفخيم ، وان الأدغام في مثل هذا الحرف وترك البيان إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل البوادي ، فأما المولدون فان حكمهم أن يتحروا أفصح القراءات واعذبها وأثبتها وإن كانت الأخرى جائزة غير

(٤٧) جامع البيان : ١٦/١٦ .

(٤٨) النجم : ٥٠

مردودة . . . » (٤٩)

وقال : اختلفت القراء في قوله تعالى : « قالوا أَرجِه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين » (٥٠) فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين : قالوا أَرْجِه » بغير همز وبجر الهاء وقرأه بعض قراء الكوفيين « أَرَجِهْ » بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء في المكنى في الوصل إذا تحرك ماقبلها كما قال الراجز :

أنحى علي الدهر رِجْلاً ويداً يُقسم لا يصلُح إلاّ أفسدا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون : هذه طلحهْ قد أقبلت ، كما قال الراجز :

لما رأى أن لادعَهْ ولا شَبَعْ مال إلى أرطاةِ حقفٍ فاضطجع

وقرأ بعض البصريين « أرجِئهُ » بالهمز وضم الهاء على لغة قيس .

وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها في كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر الهاء ، وإن كانت الأخرى جائزة غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب . . . » (٥١)

ثالثاً : تقارب المعنى : جعل تقارب معاني الألفاظ أساساً من أسس منهجه في القراءات يلجأ اليه كلما دعت الضرورة إلى ذلك ، فقد تكون الألفاظ مختلفة في الشكل أو الحركات ولكن معناها واحد فلا يغير مثل هذا عنده شيئاً من طبيعة القراءة ، فكلها قراءات يمكن أن يقرأ بها القراء مادام معناها واحداً لكنه يميل أحياناً الى قراءة معيَّنة لأنها أحب إليه من الأخرى لا لأن الثانية غير صحيحة أو جائزة فنراه يعتل لما يرغب ويحب من القراءات .

---

(٤٩) جامع البيان ٧٧/٢٧ . (٥٠) الشعراء : ٣٦ .

(٥١) جامع البيان ١٦/٩ ، وانظر ١٥٣/١٣ و ٢٦٥/١٥ ، ٢٥/٢٩ ، ١٨/٢ ، ١٥٣/١٣ ، ١١١/٨ ، ٢٠٣/٢٩ ، ١/١٤ ، ٢٨٧/١٥ ، ٢٢٤/٢٧ ، ٦٦/١٦ ، ١٠٣/٣٠ ، ٢٦٥/١٥ .

قال: اختلفت القراء في قراءة قوله: « أُذِنَ للذينَ يُقَاتِلونَ بأنهم ظُلِمُوا»(٥٢) فقرأته عامة قراء المدينة « أُذِنَ للذين يُقاتَلُون » بضم الالف من « أُذِنَ » وفتح التاء من « يقاتَلونَ » بترك تسمية الفاعل في أُذن ويُقاتَلون ، جميعاً وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة « أُذِنَ » بترك تسمية الفاعل « ويُقاتِلون » بكسر التاء بمعنى : يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين « أَذِنَ » بفتح الألف ، بمعنى : أَذِنَ اللهُ . و « يُقاتِلونَ » بكسر التاء. بمعنى : إنَّ الذين أَذِنَ اللهُ لهم بالقتال يقاتلون المشركين.

وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى ، لأنَّ الذين قرأوا أُذِنَ على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة مَن قرأه على وجه ما سمي فاعله . وإن قرأ « يُقاتِلونَ » و « يُقاتَلونَ » بالكسر والفتح فقريب معناهما من معنى الآخر . وذلك أنَّ من قاتل إنساناً فالذي قاتله له مقاتَل وكل واحد منهما مقاتل ، فإذا كان ذلك كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فمصيب الصواب . غير أن أحبّ ذلك إليَّ أنْ أقرأ به « أَذِنَ » بفتح الألف بمعنى : أذن اللهُ ، لقرب ذلك من قوله « إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كُلَّ خوّانٍ كَفورٍ » (٥٣) فيرد «أَذِن» على قوله « إنَّ الله لا يُحبُ » وكذلك أَحبّ القراءات إليّ في « يُقاتلونَ » كسر التاء بمعنى : الذين يقاتلون من قد أخبر اللهُ عنهم أنه لا يحبهم فيكون الكلام متصلاً معنى بعضه ببعض (٥٤) .

وقال : اختلفت قراء الأمصار في قراءة قوله « وأنّى لهم التناوشُ مِنْ مكان بَعيدٍ » فقرأته عامة قراء المدينة « وأنّى لهم التناوشُ » (٥٥) بغير همز ، بمعنى التناول وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة « التناؤش » بالهمز ، بمعنى : التنؤش وهو الابطاء ، يقال منه تناءشت الشيء : أخذته من بعيد . ونشته : أخذته من قريب . ومن التنؤش قول الشاعر :

---

(٥٢) الحج : ٣٩ .
(٥٣) الحج : ٣٨ .
(٥٤) جامع البيان ١٧١/١٧ .
(٥٥) سبأ : ٥٢ .

تُمنّى نئيشاً أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أُمورُ

ومن النوش قول الراجز :

فهي تنوشُ الحوضَ نوشاً من عَلا نوشاً به تَقْطَعُ أجواز الفَلا

ويقال للقوم في الحرب إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا : قد تناوش القوم . والصواب أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى . وقد يجوز أن يكون الذين قرأوا بالهمز ، همزوا وهم يريدون معنى من لم يهمز ، ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها ، كما قيل: « وإذا الرسلُ أقّتَتْ »(٥٦) فجعلت الواو من « وُقتتْ » إذ كانت مضمومة همزة (٥٧) .

وفي مرات كثيرة يذكر تقارب المعنى ولا يعلق عليه ، كما فعل في الآيتين اللتيين ذكرناهما آنفاً ، كأنه لايفضل قراءة على أُخرى فهما لديه سواء . قال : اختلفت القراء في قوله « تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ » (٥٨) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة « تنزيلُ العزيز » برفع تنزيل ، والرفع في ذلك يتجه من وجهين :

أحدهما : بأن يجعل خبراً فيكون معنى الكلام إنه تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ . والآخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذٍ أنك لمن المرسلين هذا تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ .

وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام « تنزيلَ » نصباً عل المصدر من قوله : « إنك لمن المرسلين » لأن الارسال إنما هو عن التنزيل ، فكأنه قيل : لمنزل تنزيلَ العزيز الرحيم حقاً . والصواب من القول : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب . . . » (٥٩) وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « أفحسبتُم أنّما خلقناكم عَبَثاً وأنكم

(٥٦) المرسلات : ١١ (٥٧) جامع البيان : ١٠٩/٢٢ .
(٥٨) يس : ٥ (٥٩) جامع البيان : ١٤٩/٢٢

إلينا لاتُرجعَون » (٦٠)

فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة « لاتُرجعون » بضم التاء ، لاتُردون ، وقالوا : إنما هو من مرجع الآخرة لامن الرجوع إلى الدنيا ، قرأ ذلك عامة قراء الكوفة « لاتَرجعون » بفتح التاء ، وقالوا : سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع إلى الدنيا ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى . . . (٦١)

وقال : واختلفوا في قراءة قوله « تُوقدُ من شَجَرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ »(٦٢) فقرأ بعض المكيين والمدنيين والبصريين « تَوَقّدُ من شجرةٍ » بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال ، وكأنهم وجّهوا معنى ذلك الى تُوقّد المصباح من شجرةٍ مباركةٍ وقرأ بعض عامة قراء المدنيين « يُوقد » بالياء وتخفيف القاف ، ورفع الدال بمعنى : يُوقد المصباح موقده من شجرةٍ ، ثم لم يسم فاعله ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة « تُوقدُ » بضم التاء وتخفيف القاف ، ورفع الدال ، بمعنى : تُوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة لما لم يُسم فاعله فقيل : تُوقدُ وقرأه بعض أَهْلِ مكة « تَوَقّدُ » بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى : تتوقّدُ الزجاجة من شجرة ، ثم سقطت إحدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة . وهذه القراءات متقاربات المعاني وإن اختلفت الألفاظُ بها . . . » (٦٣)

وقال : واختلفت القراء في قراءة قوله « فالتقطهُ آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدواً وحزَناً » (٦٤)

فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة « وحَزَناً » بفتح الحاء والزاي ، وقرأته عامة قراء الكوفة « وحُزْناً » بضم الحاء وتسكين الزاي والحَزَنُ

(٦٠) المؤمنون : ١١٥
(٦١) جامع البيان ٦٣/١٨ .
(٦٢) النور : ٣٥ .
(٦٣) جامع البيان : ١٤١/١٨
(٦٤) القصص : ٨

بفتح الحاء والزاي مصدر من حزنت حَزَناً ، والحُزْنُ بضم الحاء وتسكين الزاي الاسم كالعَدَمِ والعُدْمِ ونحوه ، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العَدَمِ والعُدْمِ فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب . . . » (٦٥)

وقال : واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ بعض المكيين وعامة الكوفيين « وأسبغ عليكم نعمةً » (٦٦) على الواحدة ، ووجهوا معناها الى أنه الاسلام . وقرأ عامة قراء المدينة والبصرة « نِعَمَهُ » على الجمع ووجَّهوا معنى ذلك الى أنها النعم التي سخرها الله للعباد في السموات والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك بقولهم « شاكراً لأنْعمِه » (٦٧) قالوا : فهذا جمع النعم . والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجمع (٦٨)

رابعاً : القياس على الأشهر من اللغات والاعتماد على المعروف منها وأحق اللغات أن يقرأ بها القرآن من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم ولا يعتد بالشاذ .

فصاحة اللغة وشهرتها عنده من مقومات القراءة ، وكذلك القياس على المشهور من كلام العرب وعدم الاعتداد بالشاذ ، ولا يقبل كل ماجاز في العربية ، لأن القراءة عنده ماقرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف .

قال : واختلفت القراء في قراءة قوله « ثم أَرْسَلنا رُسلَنا تَتْرَى » (٦٩) فقرأ بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة « تَتْراً » بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرأونه « تترى » بارسال الياء على مثال « فَعْلَى » والقول في ذلك أنهما قراءتان

---

(٦٥) جامع البيان : ٢٠ /٣٣ . (٦٦) لقمان : ٢٠ (٦٧) النحل : ١٢١ .
(٦٨) جامع البيان ٢١/٧٦ وانظر ١٣/١١ ، ٢٨/٦١، ٢٤/٢٣ ، ٢٥/٣٦ ، ٢٦/٣، ١٣/٩٨
(٦٩) المؤمنون : ٤٤ .

مشهورتان ولغتان معروفتان في كلام العرب بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب غير أني مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما . . . (٧٠)

وقال : واختلفت القراء في قراءة قوله « فأتخذتُموهم سُخرِيا » (٧١) فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة « سِخرِيا » بكسر السين ويتأوّلون في كسرها أن معنى ذلك الهُزء ، ويقولون : إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة : السُخرة والاستعباد ، فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء : فاتخذتم أهل الايمان بي في الدنيا هُزؤاً ولعباً ، تهزأون بهم حتى أنسوكم ذِكري .

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة « فاتخذتموهم سُخريّا » بضم السين وقالوا : معنى الكلمة في الضم والكسر واحد ... وإنما اخترنا الضم في « السخريّ » لأنه أفصح اللغتين ، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد . . . » (٧٢)

وقال : واختلفت القراء في قراءة قوله « والذينَ إذا انفقوا لم يُسرفُوا ولم يُقتروا » (٧٣) فقرأته عامة قراء المدينة « ولم يُقتروا » بضم الياء وكسر التاء من أقتر يُقتر ، وقرأته عامة قراء الكوفيين « ولم يَقْتُروا » بفتح الياء وضم التاء من قَتَّر يَقتّرُ ، وقرأته عامة قراء البصرة « ولم يَقْتِروا » بفتح الياء وكسر التاء من قَتَر يَقتِرُ ، و الصواب من القول في ذلك أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب وقراءات مستفيضات في قراء الأمصار بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب . . . . » (٧٤)

---

(٧٠) جامع البيان ١٨/٢٤
(٧١) المؤمنون : ١١٠ .
(٧٢) جامع البيان ١٨/٦٠ .
(٧٣) الفرقان : ٦٧ .
(٧٤) جامع البيان ١٩/٤٠ .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « فَهَلْ وجَدتُم ماوَعَدَ ربُكم حقاً قالوا نَعَمْ »(٧٥) فقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة والبصرة « قالوا نَعَمْ » بفتح العين من « نَعَمْ » وروى عن بعض الكوفيين أنه قرأ « قالوا نَعِمْ » بكسر العين ، وقد أنشد بيتاً لبني كلب :

نَعِمْ إذا قالها منه محققةٌ ولاتجيء عَسَى منه ولا مَمَنُ

بكسر العين من « نَعِمْ » .

قال ابو جعفر : والصواب من القراءة عندنا « نَعَمْ » بفتح العين ، لأنها القراءة المستفيضة في قراء الأمصار واللغة المشهورة في العرب . . (٧٦).

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « وقالَ الذينَ كفروا لاتَأتينا الساعةُ قلْ بلى وربي لتأتينكم عَالمُ الغيبِ لايَعزُبُ عَنْهُ » (٧٧) فقرأته عامة قراء المدينة « عالمُ الغيب » على مثال « فأل » بالرفع على الاستئناف إذ دخل بين قوله وَرَبي وبين قوله « عالم الغيبِ » كلام حائل بينه وبينه .

وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة على مثال « فاعل » غير أنهم خفضوا « عالم » رداً منهم على قوله « وربي » إذ كان من صفته ، وقرأ ذلك بقية قراء الكوفة « علاّمِ الغيب » على مثال « فعّال» وبالخفض رد لاعرابه على إعراب قوله « وربي » إذ كان من نعته . والصواب أن كل هذه القراءات الثلاث مشهورات في قراء الأمصار ، غير أنَّ أعْجبَ القراءات في ذلك إليّ أن أقرأ بها «عَلاّمِ الغيبِ » على القراءة التي ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة ، فأما اختيار « عــلاّمِ » على عالم ، فلأنها أبلغ في المدح .. وامــا الخفض فيها فلأنها من نعت « الرب » وهو في موضع الجر .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « قالَ يا بُشرى هَذا غُلامٌ

(٧٥) الأعراف : ٤٤ .
(٧٦) جامع البيان ١٨٧/٨ .
(٧٧) سبأ : ٣

وأسرّوهُ بضاعةً واللهُ عليمٌ بما يَعملَونَ » فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة « يا بُشْريَّ » باثبات ياء الاضافة ، غير أنه أُدغم الألف في الياء طلباً للكسرة التي تلزم ما قبل ياء الاضافة من المتكلم في قولهم : غلامي ، وجاريتي فتي كل حال ، وذلك لغة طيىء ، كما قال أبو دؤيب:

سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهمُ فتغرموا ولكل جَنْبٍ مَصْرَعُ

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين « يابُشريَ » بارسال الياء وترك الاضافة . وإذا قرىء كذلك احتمل وجهين :

أحدهما : قاله السديّ وهو أن يكون اسم رجلٍ دعاه المستقي باسمه كما يقال : يازيدُ ، وياعمرو ، فيكون بُشرى في موضع رفع بالنداء .

والآخر : أن يكون أراد إضافة البُشرى إلى نفسه فحذف الياء وهو يريدها فيكون مفرداً وفيه نية الاضافة ، كما تفعل العرب في النداء فتقول : يانفسِ اصبري ، ويانفسي اصبري . ويابني لاتفعل ، ويابُنيَّ لاتفعل ، فتفرد وترفع وفيه نية الاضافة ، وتضيف أحياناً فتكسر كما تقول : ياغلامِ أقبل ، وياغُلامي أقبل ، وأعجب القراءة في ذلك إليَّ قراءة مَن قرأه بارسال الياء وتسكينها لأنه إن كان اسم رجل بعينه كان معروفاً فيهم كما قال السديّ فلذلك هي القراءة الصحيحة لاشك فيها ، وإن كان التبشير فانه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بينت ، وأما التشديد والاضافة في الياء فقراءة شاذة لا أرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة ، لاجماع الحجة من القراء على خلافها(٧٨).

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « إن قتلَهم كانَ خِطْئاً كبيراً »(٧٩) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق « إنَّ قَتْلَهم كانَ خِطْئاً كبيراً » بكسر الخاء من الخطأ وسكون الطاء ، وإذا قرئ كذلك كان له وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون إسماً من قول القائل . خَطِئت فأنا أخطأ ، بمعنى : أذنبت

(٧٨) جامع البيان ١٢/١٦٧ .

(٧٩) الأسراء : ٣١ .

وأثمت ويحكى عن العرب خَطِئْتَ إذ أذنبتَ عمداً ، وأخطأتَ ، إذا وقع منك الذنب خَطَأً على غير عمدٍ منك . والثاني : أن يكون بمعنى خَطَأ بفتح الخاء والطاء ، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء ، كما قيل : قِتْبٌ ، وقَتَبٌ ، وحِذْرٌ ، وحَذِرٌ نَجْسٌ ونَجِسٌ ، والخطء بالكسر اسم ، والخَطَأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم : خَطِيء الرجلُ ، وقد يكون اسماً من قولهم : أخطأ ، فأما المصدر منه فالإخطاء ، وقد قيل: خَطِيءَ كما قال الشاعر :

يا لهفَ هند إذ خَطِئنَ كاهلا .

بمعنى : أخطأن .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة « إنَّ قتلهم كانَ خَطَأً » بفتح الخاء والطاء مقصوراً على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم : أخطأ فلانٌ خَطَأً .

وقرأ بعض قراء أهل مكة « إنَّ قتلهم كانَ خَطَاءً » بفتح الخاء والطاء ومد الخطاء بنحو معنى من قرأه « خَطَأً » بفتح الخاء والطاء ، غير أنه يخالفه في مد الحرف ، وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخِطء والخَطَأ ، بمعنى واحد ، إلاّ أن بعضهم زعم أن الخِطء بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر ، وأن الخَطَأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع الخِطء بكسر الخاء وسكون الطاء في شيء من كلامهم وأشعارهم ، إلاّ في بيتٍ أنشده بعض الشعراء

الخِطْءُ فاحشةٌ والبر نافلةٌ كعجوةٍ غرست في الأرضِ تؤتبر

وأولى القراءات في ذلك بالصواب القراءة التي عليها قراء أهل العراق وعامة أهل الحجاز ، لاجماع الحجة من القراء عليها وشذوذ ماعداها . . . » (٨٠)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « إنَّ اللهَ ربي وربكم فاعبدوه»(٨١) فقرأته عامة قراء الأمصار بكسر ألف « إنَّ » على ابتداء الخبر ، وقرأه بعضهم .

(٨٠) جامع البيان ٧٩/١٥ . (٨١) آل عمران : ٥١ .

« أنَّ اللهَ ربي وربكم » بفتح ألف « إنَّ » بتأويل : وجئتكم بآيةٍ من ربكم أنَّ الله ربي وربَكم » على رد « أنَّ » على الآية والابدال منهما . والصواب من القراءة عندنا ماعليه قراء الأمصار وذلك بكسر ألف « إنَّ » على الابتداء لاجماع الحجة من القراء على صحة ذلك ، وما اجتمعت عليه فحجة ، وما انفرد به عنها فرأي ، ولايعترض بالرأي على الحجة . . (٨٢)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « إلاّ أنْ تكونَ تجارَةٌ حَاضِرةٌ تديرونَها بينَكم »(٨٣) فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وعامة القراء « إلاّ أنْ تكونَ تجارةٌ حاضرةٌ » بالرفع ، وانفرد بعض قراء الكوفة فقرأه بالنصب ، وذلك وإن كان جائزاً في العربية إذا كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان وتضمر مع « كان » مجهولاً فتقول : إنْ كان طعاماً طيباً فائتنا بهِ ، وترفعها فتقول : إن كان طعامٌ طيبٌ فائتنا بهِ ، فتتبع النكرة خبرها بمثل إعرابها ، فان الذي أختار من القراءة ثم لاأستجيزُ القراءة بغيره الرفع في التجارة والحاضرة ، لاجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصباً عنهم ، ولا يعترض بالشاذ على الحجة . . . » (٨٤)

خامساً : الالتزام بخط المصحف : لايجُوّز أي تغيير في خط المصحف تحت أي ظرف من الظروف شأنه في ذلك شأن العلماء الأتقياء ، الذين يرون أنَّ أي تغيير يمس كتاب اللهِ غير جائز في الدين ، لأن المصحف الكريم مقدس منزه عن كل تحريف أو تحوير ولو تعارض مع قواعد الاملاء .

قال : ذوعسرةٍ في قوله تعالى « وإن كان ذوعسرةٍ فَنَظِرةٌ إلى ميسَرَة »(٨٥) مرفوع « بكان » والخبر متروك ، وإنما صلح ترك خبرها من أجل النكرات ، تضمر لها العرب أخبارها ، ولو وجهت « كان » في هذا الموضع

(٨٢) جامع البيان ٢٨٣/٣ .
(٨٣) البقرة : ٢٨٢ .
(٨٤) جامع البيان ١٣٢/٣ . وانظر ٢٥/٣ و ٣٠/٢٢ .
(٨٥) البقرة : ٢٨٠ .

إلى أنها بمعنى الفعل المكتفي بنفسه التام لكان وجهاً صحيحاً ، ولم يكن بها حاجة حينئذٍ إلى خبرٍ .

وقد ذكر أنّ ذلك في قراءة أبي بن كعب « وإن كان ذَا عُسرة » بمعنى : وإن كان الغريم ذا عسرة فَنَظِرةٌ إلى مَيْسَرَةٍ » وذلك إن كان جائزاً في العربية فغير جائز القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين » (٨٦) .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « لأهب لَكِ غُلاماً زكياً » (٨٧) فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو ، بمعنى : أنا رسولُ ربكِ أرسلني إليكِ لأهب لكِ غلاماً زكياً ، على الحكاية ، وقرأ أبو عمرو ابن العلاء « ليهبَ لك غلاماً زكياً » بمعنى أنا رسولُ ربِكَ أرسلني إليك ليهب الله لك غُلاماً زكياً » والصواب من القراءة فيْ ذلك ماعليه قراء الأمصار وهو « لأهبَ لك » بالألف دون الياء ، لانذلك كذلك في مصاحف المسلمين، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبي عمرو ، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم . . . (٨٨)

وقال: اختلفت القراء في قراءة قوله « وَمَا هُوَ عَلى الغَيْبِ بضَنين»(٨٩) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة « بضنينٍ » بالضاد بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم مَا عَلّمه اللهُ وأنزل إليهِ من كتابهِ ، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين « بظنين » بالظاء بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنبياء . وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب ماعليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به وذلك « بضنين » بالضاد ، لأن ذلك كله كذلك في خطوطها . . . » (٩٠)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « يومَ يأتِ لاتُكلمُ نفسٌ » (٩١)

---

(٨٦) جامع البيان ١٠٩/٣

(٨٧) مريم : ١٩

(٨٨) جامع البيان : ٦١/١٦ .

(٨٩) التكوير : ٢٤ .

(٩٠) جامع البيان : ٨١/٣٠

(٩١) هود : ١٠٥ .

فقرأ عامة قراء أهل المدينة باثبات الياء فيها « يومَ يأتي لاتكلم نَفْسٌ » وقرأ ذلك بعض قراء اهل البصرة وبعض الكوفيين باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء في الوصل والوقف « يومَ يأتِ لاتكلم نفس إلاّ باذنهِ » .

والصواب من القراءة « يومَ يأتِ » بحذف الياء في الوصل والوقف اتباعاً لخط المصحف، وأنها لغة معروفة لهذيل تقول : ما أدرِ ماتقول ، ومنه قول الشاعر :

كفاك كف ما تُليق درهماً جوداً وأخرى تقطِ بالسيف الدما (٩٢)

سادساً : النقل عن علماء مشهورين في اللغة والنحو ويقف معهم صفاً واحداً .

يشكل النقل عن شيوخ معروفين ظـاهرة واضحة في منهـج أبي جعفر الطبري في القراءات واللغة والنحو ، لكنه ليس ناقلاً لآراء هؤلاء حسب بل تبدو شخصيته واضحة في كل ما ينقل من آراء ، فكثيراً مايجهر برأيه مخالفاً أو موافقاً متى مارأى النقل لاينسجم مع مذهبه أو طبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه ، فهو يرد على علماء كبار في القراءات أمثال ابن كثير وابي عمرو زين العلاء والكسائي وعاصم بن أبي النجود وغيرهم لغزارة علمه في القراءات واللغة ومعرفته الواسعة بلغات القبائل المعروفة بالفصاحة ، وهذا النقل يكون أحياناً بطريق غير مباشر ، كما سنرى ذلك في البحث عن شواهده .

قال : اختلفت القراء في قراءه قوله « لقَالُوا إنما سُكرت أبصارُنا بل نحن قومٌ مَسحورون » (٩٣)

فقرأ أهل المدينة والعراق « سُكّرت » بتشديد الكاف بمعنى : غُشيت وغُطيت هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه ، وذكر عن مجاهد أنه كان يقرأ « لقالوا إنما سُكِرَت » خفيفة ، وذهب مُجاهد في قراءته ذلك الى حُبست أبصارنُا ، على الرؤية والنظر من سكور الريح ،

(٩٢) جامع البيان ١٢/١٥ (٩٣) الحجر : ١٥ .

وذلك سكونها وركودها ، يقال منه : سَكِرت الريحُ : إذا سكنت .
وقد حكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : هو مأخوذ من سُكْرْ الشراب وأن معناه : قد غشى أبصارنا السُكْرُ .
وعن ابن عباس « لقالوا إنما سُكّرت أبصارنا » يقول : أُخذت .
وأولى هذه الأقوال قول من قال : معنى ذلك : أُخذت أبصارنا وسجرت فلا تبصر الشيء على ما هو به ، وذهب حد إبصارها وأنطفأ نوره ، كما يقال للشيء الحار إذا ذهبت فورته وسكن حد حره قد سَكِرُ قال المثنى ابن جندل :

جاء الشتاءُ واجثأل القُبُرُ واسنخفت الأفعى وكانت تظهر
وجعلت عين الحرور تسْكُرُ

أي : تسكن وتذهب وتنطفىء ، وقال ذو الرمة :

قبل انصداع الفجر والتجهّرْ وخوضهنّ الليلَ حين يَسكِرْ

يعني : حين تسكن فورته .
غير أن القراءة التي لا استجيز في القراء « سُكّرت » بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليها . . . . » (٩٤)

وقال : اختلف القراء في قراءة قوله « ولا تقولوا لِما تَصِفُ ألسنتكُم الكَذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ » (٩٥)
فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق « الكَذِبَ » بالنصب، فتكون نصف الكذب بمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فتكون « ما » بمعنى المصدر .
وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ « ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب» بخفض « الكذب » بمعنى : ولاتقولوا للكذبِ الذي تصفه ألسنتكم ، هذا حلال ، وهذا حرام » فيجعل الكذب ترجمة عن « ما » التي في « لما » فتخفضه بما تخفض به « ما » .

(٩٤) جامع البيان ١١/١٤ .
(٩٥) النحل : ١١٦ .

وقد حكي عن بعضهم « لما تصف ألسنتكم الكذبُ » بر فع «الكذب» فيجعل الكذب من صفة الألسنة ، ويخرج على « فُعُلٍ » على أنه جمع كذوب وكُذُبٍ ، مثل شكور وشُكُرٍ ، والصواب عندي من القراءة نصب « الكذب » لاجماع الحجة من القراء عليه . (٩٦)

وقال: اختلفت القراء في قراءة قوله « وامرأةً مؤمنةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنبي » (٩٧) فقرأ عامة قراء الأمصار « إنْ وهبت » بكسر الألف على وجه الجزاء بمعنى : إن تهب ، وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ « أَنْ وهبت » بفتح الألف ، بمعنى : وأحللنا له امرأةً مؤمنةً ينكحها لهبتها له نفسها . والقراءة التي لاأستجيز غيرها كسر الألف . . . » (٩٨)

وقال : اختلفت القراء في قوله « ولسليمانَ الريحَ عاصفةً تجري بأمرهِ » (٩٩)

فقرأته عامة قراء الأمصار « ولسليمانَ الريحَ » بنصب الريح ، بمعنى : ولقد آتينا داود منا فضلاً وسخرنا لسليمان الريحَ ، وقرأ عاصم « ولسليمان الريحُ » رفعاً بحرف الصفة ، إذ لم يظهر الناصب ، والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب . . . » (١٠٠)

وقال : واختلفوا في قراءة قوله « ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوفهم أَمْنَاً » (١٠١) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم « ولَيُبَدِّلَنّهم » بتشديد الدال ، بمعنى : وليغيرنَ حالهم عما هي عليه من الخوف الى الأمن ، والعرب قد تقول : قد بُدل فلان إذا غُيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره ، وكذلك كل مغير عن حاله ، فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما

(٩٦) جامع البيان : ١٨٩/١٤
(٩٧) الأحزاب : ٥٠
(٩٨) جامع البيان ٢٢/٢٢ .
(٩٩) الأنبياء : ٨١ .
(١٠٠) جامع البيان : ١٨/٢٢ .
(١٠١) النور : ٥٥ .

قيل بالتخفيف وليس بالفصيح ، فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف ، أبدلته فهو مُبْدَل ، وذلك كقولهم : أبدل هذا الثوبُ ، أي جُعلَ مكانه آخر غيره ، وقد يقال بالتشديد ، غير أنَّ الفصيح من الكلام ماوصفت ، وكان عاصم يقرؤه « ولَيُبَدلّنهم » بتخفيف الدال . والصواب من القراءة في ذلك : التشديد . . . (١٠٢)

وقال : اختلفت القراء في قوله « فاذكروا اسمَ اللهِ عَليها صَوَافَّ»(١٠٣) فقرأته عامة قراء الأمصار « صَوَافَّ » بمعنى مصطفة ، واحدها صافة ، وقد صفت بين يديها ، وروي عن الحسن البصري ومجاهد وجماعة أنهم قرأوا ذلك « صوافيَ » بالياء منصوبة بمعنى : خالصة لك لا شريك له فيها ، صافية له ، وقرأ بعضهم : ذلك « صَوَافٍ » باسقاط الياء وتنوين الحرف على مثال عَوارٍ ، وعَوارٍ ، وروي عن ابن مسعود أنه قرأه « صَوَافنٌ » بمعنى : معلقة .

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها (١٠٤)

وقال : واختلف القراء في قراءة قوله « يُضاعف لهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ ويَخْلُدُ فيه مُهَاناً » (١٠٥) فقرأته عامة قراء الأمصار « يُضاعفُ لَهُ العَذَابُ » بالألف غير أبي عمرو فأنه قرأ ذلك « يُضَعّف » بتشديد العين تأولاً منه في قراءته ، ذلك أنَّ يضعف بمعنى : تضعيف الشيء مرة واحدة ، وذلك أن يجعل الشيء شيئين ، فكأنَّ معنى الكلام عنده أن يجعل عذاب من يأتي من نساءِ النبي بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة . والصواب من القراءة في ذلك « يُضاعف » وأما التأويل الذي ذهب اليه أبو عمرو فتأويل لانعلم أحداً من أهل العلم : ادعاه غيره وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى . ولايجوز خلاف ماجاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل ، ولابرهان له من الوجه الذي يجب التسليم له . . . »

---

(١٠٢) جامع البيان ١٥٩/١٨

(١٠٣) الحج : ٣٦ .

(١٠٤) جامع البيان ١٦٧/١٧ .

(١٠٥) الفرقان : ٦٩

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « لَعَلي أبلغ الأسبابَ أسبابَ السمواتِ فأطلَعُ إلى إلهِ مُوسى » ((١٠٦)

فقرأت عامة قراء الأمصار « فأطلعُ » بضم العين ، رداً على قوله « أبلغُ الأسبابَ وعطفاً به عليه وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ « فأطلعَ » نصباً جواباً « للعل » . وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

على صروف الدهر أو دُولاتها
يُدلّنا اللمةَ من لماتها
فتستريحَ النفسُ من زفراتها

فنصب « فتستريحَ » على أنها جواب « للعل » . . .

والقراءة التي لاأستجيز غيرها الرفع في ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه . . . (١٠٧)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « فاذا بَرِقَ البَصَرُ » ((١٠٨) فقرأه أبوجعفر القارىء ونافع وابن أبي إسحاق « فاذا بَرَقَ البَصَرُ » بفتح الراء ، بمعنى شخص وفتح عند الموت وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو وعامة قراء الكوفة « بَرِقَ » بكسر الراء بمعنى : فزع وشق ، وعن أبي عمرو ابن العلاء أن بَرِقَ بالكسر بمعنى حار ، قالَ : وسألت عنها عبدالله بن أبي اسحاق فقال : بَرَقَ » بالفتح وانما بَرِقَ الخَيطلُ والنارُ والبرقُ وأما البصر فَبرِقَ عندَ الموت ، قال : وأُخبرت بذلك أنَّ ابن أبي اسحاق قال : أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال : لكن لاأخذ عن نصر ولا عن أصحابه فكأنه يقول : آخذ عن أهل الحجاز ، وأولى القراءتين في ذلك بالصواب كسر الراء « فاذا بَرِقَ »

(١٠٦) غافر : ٣٧ .
(١٠٧) جامع البيان : ٦٥/٢٤ .
(١٠٨) القيامة : ٧ .

بمعنى : فزعَ فشُق وفتـــح من هول القيامة ، وفزع الموت ، وبذلك جاءت أشعارُ العرب ، أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة للكلابي :

لما أتاني ابن صُبيح راغباً أعطيتهُ عَيْسَاءَ منهـــا فَبَرَقْ

وحدثت عن أبي زكريا الفراء ، أنشدني بعض العرب :

نعاني خيـــانةُ طُوالة تسفُ يَبيساً مـــن العِشْرِقِ

فنفسك فانعَ ولاتنعني وداوِ الكـــلوم ولا تَبرَقِ

بفتح الراء ، وفسره : أنه يقول ـ لاتفزع من هول الجراح التي بك ، قال : وكذلك . يبرق البصر يوم القيامة (١٠٩) .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « حتى مطلعِ الفجر » (١١٠) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي « مطلَعِ الفجر » بفتح اللام بمعنى : طلوع الفجر ، أتقول العرب طلعت الشمس طلوعاً ومَطْلَعاً ، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي « حتى مَطلعِ الفَجْر» بكسر اللام توجيهاً منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر وهم ينوون بذلك المصدر .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا فتح اللام لصحة معناه في العربية وذلك أن مطلع بالفتح هو الطلوع والمطلِع بالكسر هو الموضع الذي تطلع منه ، ولا معنى للموضع الذي تطلع منه في هذا الموضع .. » (١١١)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله : « إنَّ هذانِ لساحران » (١١٢) فقرأته عامة قراء الأمصار « إنَّ هذانِ » بتشديد النون من « إنَّ » وبالألف من « هذانِ » وقالوا : قرأنا ذلك كذلك ، وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال : قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس « إنّ هَـذين لَسَاحرانِ » في اللفظ ، وكتب « هذان » كما يريد الكتاب واللفظ صـــواب ، قال :

(١٠٩) جامع البيان ١٧٨/٢٩ . (١١٠) القدر : ٥

(١١١) جامع البيان ٢٦١/٣٠ . (١١٢) طه : ٦٣

وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب . . . » (١١٣)

سابعاً : شواهده من الشعر والرجز : الكتاب في التفسير والقراءات ، لكن الطبري يميل كثيراً الى الاستشهاد بالشعر شأنه شأن العلماء الذين سبقوه في هذا المضمار أمثال الفراء والأخفش الأوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى والمبرد وغيرهم ، والذي يقرأ كتابه « جامع البيان » يرى أنه قد خص شعراء القبائل الشمالية بقسط وافرمن شواهده كتميم ، وبكر ، وتغلب وعبد القيس ، وجشم ، وعكل ، والأزد ، وكندة ، والأوس ، والخزرج ، وطيىء ، وأسد وهذيل ، وقريش ، لأن هذه القبائل تعد من أشعر قبائل العرب في الجاهلية ، كذلك يشكل الشعراء الأسلاميون نسبة كبيرة من هذه الشواهد وربما كان يفضل شعراء الاسلام على الجاهليين لما في الشعر الجاهلي من وصف لعادات نهى عنها الاسلام وقبحها ، واعتبرها منافية لتعاليم الدين الحنيف ، وقد سلك الطبري في النقل — كما مر بنا — طريقتين :

١— النقل المباشر عن العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم .

٢— النقل عن العرب عن طريق شيوخه الذين يحترم آراءهم ويُجلّها .

قال : اختلفت القراء في قراءة قوله « إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مرصاداً للطَّاغينَ مَئَاباً، لابثين فيها أحقاباً »(١١٤) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة « لابثين » بالألف وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة « لَبثينَ » بغير ألف .

وأفصح القراءتين وأصحّها مخرجاً في العربية قراءة من قرأ ذلك بالألف وذلك أن العرب لاتكاد توقع الصفة إذا جاءت على « فَعِل » فتعملها في شيء وتنصبه بها ، لايكادون أن يقولوا : هذا رجلٌ بَخِلٌ بمالهِ ولا عَسِرٌ

(١١٣) جامع البيان ١٦/١٨٠ .

(١١٤) النبأ : ٢٣ .

علينا ، ولا هو خصيمٌ لنا ، لأن « فعِل » لايأتي صفة إلاّ مدحاً أو ذماً . فلا يعمل المدح والذم في غيره واذا أرادوا اعمال ذلك في الأسم أو غيره ، جعلوه فاعلاً فقالوا : هو باخلٌ بماله وهو طامعٌ فيما عندنا ، فلذلك قلت : إنّ « لابثين » أصح مخرجاً في العربية وأفصح ولم أُحل قراءة من قرأ « لَبثينَ » وإن كان غيرها أفصح ، لأن العربَ ربما أعملت المدح في الأسماء ، وقد يُنشد بيت لبيد :

أومسحِلٌ عَمِلٌ عضادةَ سَمْجَحٍ بَسَراتها نَدَبٌ له وكَلومُ

فأعمل « عَمِلٌ » في « عضادة » .

ولو كانت عاملاً كانت أفصح ، أويُنشد أيضاً :

وبالفأسِ ضَرّابٌ رؤوسَ الكرانفِ

ومنه قول عباس بن مرداس :

أكرُّ وأحمي للحقيقةِ منهمُ وأضْرَبَ منا بالسيوف القوانسا (١١٥)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « يومَ لاتملكُ نَفْسٌ لنَفْسٍ شيئاً والأمرُ يومئذ لله » (١١٦) ، فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة بنصب « يوم » اذا كانت إضافته غير محضة ، وقرأ بعض قراء البصرة بضمّ (يوم) ورفعه ردء الأول ، والرفع فيه افصح في كلام العرب ، وذلك أنّ اليوم مضاف إلى « يَفْعلُ » والعرب إذا أضافت « اليومَ » الى « يَفْعل » أو « تفعل » أو « أفعل » رفعوه فقالوا : هذا يومُ أفعلُ كذا ، وإذا اضافته الى مَاضٍ نصبوه ومنه قول النابغة :

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلتُ ألمّا تَصحُ والشَيبُ وازعُ (١١٧)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « كأنّهم حُمرٌ مُستَنْفِرَةٌ »(١١٨)

(١١٥) جامع البيان : ٩/٣٠ .
(١١٦) الانفطار : ٩
(١١٧) جامع البيان ٩٠/٣٠ .
(١١٨) المدثر : ٥٠

فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بكسر الفاء ، وفي قراءة بعض المكيين أيضاً بمعنى « نافرة » ، والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وكان الفراء يقول : الفتح والكسر في ذلك كثيران في كلام العرب وأنشد :

إمْسك حِمارَكَ إنهُ مُستَنفِرٌ في إثْرِ أَحمرةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ (١١٩)

وقال : قوله « يقولُ الأنسانُ يومئذٍ أَينَ المَفَرُّ » بفتح الفاء قرأ ذلك قراء الأمصار ، لأن العين في الفعل منه مكسورة ، وإذا كانت العين من « يَفعل » مكسورة ، فان العرب تفتحها في المصدر منه إذا نطقت به على « مَفْعَل » فتقول : أَفَرَّ يَفِرُّ مَفَرّاً ، يعنى : فَرّاً ، كما قال الشاعر :

يالبكرٍ انشروا لي كُليبا يالبكرٍ أَينَ أَينَ الفِرارُ

إذا أريد هذا المعنى من « مَفْعَل » قالوا : أينَ المَفَرُّ ، بفتح الفاء ، وكذلك المَدَبّ من دَبَّ يَدِبُ كما قال بعضهم :

كأنَّ بقايا الأثر فوقَ مُتونِهِ مَدَبُّ الدُّبى فوقَ النَقا وهو سارح

وقد ينشد بكسر الدال ، والفتح فيها أكثر ، وقد تنطق العرب بذلك وهو مصدر بكسر العين، وزعم الفراء أنهما لغتان وأنه سمع : جاء على مَدَبِ السيلِ ، ومافي قميصه مَصَحٌ ومَصِحٌ ، ويروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء ، ويقول : إنما المَفِرُّ مَفِرُ الدابة حيث تَفِرُّ ، والقراءة التي لاأستجيز غيرها الفتح في الفاء من المَفَر ، لاجماع الحجة من القراء عليها وأنها اللغة المعروفة في العرب إذا أريد بها الفرار ، وهو في هذا الموضع الفِرار . . . » (١٢١)

وقال : قال تعالى « إنَّ اللهَ بالناسِ لرؤوف رحيمٍ » (١٢٢) في

(١١٩) جامع البيان : ١٦٨/٢٩ .
(١٢٠) القيامة : ١٠
(١٢١) جامع البيان ١٨٠/٢٩
(١٢٢) البقرة : ١٤٣ .

« الرؤوف » لغاتٌ :

إحداها : رَؤُفٌ على «أَفعَلٍ » كما قال الوليد بن عقبة :

وشر الطـالبينِ ولا تكنه بقاتلِ عمه الرَؤُفُ الرحيمُ

وهي قراءة عامة أهل الكوفة ، والأخرى : رؤُوف على مثال « فَعُول » وهي قراءه عامة أهل المدينة ، ورَئِف وهي لغة غَطَفان على مثال « فَعِلٍ » مثل حَذِرٍ ورَأف على مثال « فَعْلٍ » بجزم العين وهي لغة لبني أسد ، والقراءة على أحد الوجهين الأولين . . » (١٢٣)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « ثُمَ لم تَكُنْ فتنتَهم إلاّ أنْ قَالوا والله ربنا » (١٢٤) فقرأته جماعة من قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بنصب « فتنتَهم » بمعنى : لم يكن اختبارنا لهم إلاّ قيلَهم والله ربنا ماكنا مشركين » غير أنهم يقرأون « تكن » بالتاء على التأنيث ، وان كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهي خبر وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام ، وقد روي بيت للبيد بنحو ذلك :

فمضى وقدّمها وكانت عادةً منه إذا هي عرّدت أقدامُها

فقال : كانت بتأنيث الأقدام لمجاورته قوله « عادة » .

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين « ثم لم يكن » بالياء « وفتنتهم » بالنصب إلاّ أن قالوا . بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم ، أنهم ذكروا « يكون » لتذكير « أن » وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب . لأن « أن » أثبت في المعرفة من الفتنة . . . . » (١٢٥)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « إذ أنتم بالعُدوَةِ الدُنيا وَهُم بالعُدوةِ القُصوى » (١٢٦) فقرأ عامة قراء المدينة والكوفيين « بالعُدوةِ » بضم العين ، وقرأ بعض المكيين والبصريين « بالعِدوةِ » بكسر العين ، وهما

(١٢٣) جامع البيان : ١٨/٢ .
(١٢٤) الأنعام : ٢٣ .
(١٢٥) جامع البيان ٦٦/٧
(١٢٦) الأنفال : ٤٢ .

لغتان مشهورتان بمعنى واحد فيأيّتهما قرأ القارىء فمصيب وينشد بيت الراعي :

وعنيـــان حُمْرٌ مآقيـ ـها كمـــا نَظَرَ الجُؤذَرُ

بكسر العين من « العِدوة » وكذلك ينشد أوس بن حجر :

وفارسٍ لو تحلُ الخيلُ عِدوتَهُ ولّوا سَراعاً وماهمّوا باقبال(١٢٧)

وقال : وقد اختلفت القراء في قراءة قوله « فأرسلنا عَليهم ريحاً صَرْصَراً في أيامٍ نَحِسَاتٍ » فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو « في أيامٍ نَحِسَاتٍ »(١٢٨) بكسر الحاء وقرأ نافع وأبو عمروٍ « نَحْسَاتٍ » بسكون الحاء ، وكان أبُوعمرو فيما ذكرلنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله « يَومُ نَحْسٍ مُستَمِرٍ » (١٢٩) وأن الحاء فيه ساكنة .

والصواب من القول في ذلك أن يقال إنهما قراءتان مشهورتان .. وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها لغتان معروفتان ، يقال : هذا يومٌ نَحْسٌ ، ويومٌ نَحِسٌ ، بكسر الحاء وسكونها ، قال الفراء : أنشدني بعض العرب :

أبلغ جُذاماً ولَخْماً أنّ أُخوتهم طيّاً وبهراءَ قومٌ نصرُهم نَحِسُ

وأما من السكون فقول الله « يومٍ نَحْسٍ » ومنه قول الراجز :

يومينِ غَيمينِ ويوماً شَمْسا نجمينِ بالسعدِ ونجماً نَحْسَا

فمن كان لغته « يومِ نَحْسٍ » قال : في أيامٍ نَحْسَاتٍ » ومن كانَ لغته « يَومِ نَحسٍ » قال « في أيامٍ نَحِسَاتٍ » (١٣٠) .

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « ويَعْلَمُ الذينَ يُجادلونَ في آياتنا مَالَهُمْ مِنْ مَحيصٍ » (١٣١) فقرأته عامة قراء المدينة برفع « يَعلمُ » على الاستئناف ، كما قال في سورة براءة « ويتوبُ اللهُ عَلى مَنْ يَشاءُ »(١٣٢)

---

(١٢٧) جامع البيان ١٠/١٠
(١٢٨) فصلت : ١٦ .
(١٢٩) القمر : ١٩ .
(١٣٠) جامع البيان ١٠٣/٢٤ .
(١٣١) الشورى : ٣٥ .
(١٣٢) التوبة : ١٥
(١٣٣) آل عمران : ١٤٢ .

وقرأته قراء الكوفة والبصرة « ويَعلمَ الذين » نصباً ، كما قال في سورةِ آل عمران « ويَعْلَمَ الصابرين » (١٣٣) على الصرف وكما قال النابغة :

فان يَهلِكْ أبو قابوس يَهْلك ربيعُ الناسِ والشهرُ الحرامُ
ونمسكَ بعدَهُ بذَناب عَيسٍ أجب الظهرِ ليس لَهُ سَنامُ

والصواب من القول أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان ... (١٣٤)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « وما نَراكَ أتَّبَعكَ إلاّ الذينَ هُم أراذلنا باديَ الرأي » (١٣٥) فقرأته عامة أهل المدينة والعراق « باديَ الرأي » بغير همز البادي ، وبهمز الرأي ، بمعنى : ظاهر الرأي من قولهم : بدا الشيء يبدو إذا ظهر ، كما قال الراجز :

أضحى لخالي شَبَهى بادى بَدَى وصارَ للقملِ لساني ويَدَى

أي : بادى بَدَى ، بغير همز ، وقال الآخر :

وقد علتني ذُرأةٌ بادي بَدَىّ

وقرأ بعض أهل البصرة « باديء الرأي » مهموز أيضاً بمعنى : مبتدأ الرأي من قولهم : بدأت بهذا الأمر ، إذا ابتدأت بهِ غيره .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة مَن قرأ « باديَ » بغير همز البادي وبهمز الرأي . . . » (١٣٦)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله «وحورٌعينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون » (١٣٧) فقرأته عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين « وحورٍ عينٍ » بالخفض اتباعاً لاعرابها اعراب ماقبلها من الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لايطاف به ، ولكن لما كان معروفاً معناه المراد ، اتبع الآخر الأول في الاعراب ، كما قال الراعي النميري :

إذا ما الغانياتُ برزن يوماً وزججنَ الحواجبَ والعيونا

---

(١٣٤) جامع البيان ٣٥/٢٥ .
(١٣٥) هـود : ٢٧ .
(١٣٦) جامع البيان ٢٧/١٢
(١٣٧) الواقعة : ٢٢

فالعيون تكحل ولا تزجج إلاّ الحواجب، فردها في الاعراب على الحواجب لمعرفة السامع معنى ذلك، وكما قال الشاعر :

تسمعُ للأحشاءِ منه لَغَطا ولليدين جُسَأةً وبَدَدا

والجُسأة : غلظ في اليد وهي لاتسمع، وقرأ بعض قراء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع « وحورٌ عينٌ » على الابتداء، وقالوا : الحور العين لايطاف بهن فيجوز العطف بهن في الاعراب على اعراب فاكهة ولحم، ولكنه مرفوع بمعنى : وعندهم حورٌ عينٌ أو « لهم حورٌ عينٌ » والصواب أن يقال إنهما قراءتان معروفتان . . . » (١٣٨).

وقال : اختفت القراء في قراءة قوله « وغلّقتِ الأبوابَ وقالت هَيْتَ لك » (١٣٩) فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة « هَيْتَ لَكَ » بفتح الهاء والتاء، بمعنى : هَلُم لَكَ، وأدنِ، وتقرّب، وكما قال الشاعر لعلي بن أبي طالب :

أبلغ أميرَ المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا
إنّ العراقَ وأهلَهُ عَنُقٌ إليك فهَيْتَ هَيتَا

يعنى : تعال وأقرب، وقرأ جماعة من المتقدمين : وقالت « هِئتُ لَكَ » بكسر الهاء وضم التاء والهمز، بمعنى : تهيأت لَكَ . . . . وقرأ عامة قراء المدينة « هِيْتَ لك » بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وقرأ بعض المكيين « هَيْتُ لك » بفتح الهاء، وتسكين الياء وضم التاء، وقرأ بعض البصريين وهو عبدالله بن أبي اسحاق « هَيْتِ لَكَ » بفتح الهاء وكسر التاء، وقد أنشد بعض الرواة لطرفة بن العبد في « هَيتُ » بفتح الهاء وضم التاء، وذلك :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قالَ داعٍ من العَشيرةِ هَيْتُ

وأولى القراءات في ذلك قراءة من قرأه « هَيْتَ لَكَ » بفتح الهاء والتاء وتكسين الياء، لأنها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها، وأنها فيما ذكر

(١٣٨) جامع البيان ١٧٦/٢٧ .
(١٣٩) يوسف : ٢٣ .

قراءة رسول الله « ص » . . . (١٤٠)

وقال : اختلفت القراء في قراءة قوله « لسانُ الذي يُلْحدونَ إليهِ أعجمي » (١٤١) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة « لسانُ الذي يُلْحدونَ إليه » بضم الياء من ألحد يُلحد إلحاداً ، بمعنى : يعترضون ويعدلون إليهِ . ويعرّجون إليهِ من قول الشاعر : وهو أبو نخيلة حميد بن مالك الأرقط :

قَدني من نَصرِ الجنيبين قَدي لَيْسَ أميري بالشحيحِ الملحدِ

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة « لسانُ الذي يَلْحدونَ إليه » بفتح الياء ، يعني : يميلون إليه ، من لَحِدَ فلان الى هذا الأمر يَلْحَدُ لَحْداً وألحوداً ، وهما عندي لغتان بمعنى واحد . . . (١٤٢)

وبعد هذا العرض المقتضب لمنهجه ومصادره إذا ماقيس بحجم الكتاب الذي يضم ثلاثين جزءاً ، كل جزء يحتوي على أكثر من ثلاثمائة صفحة يبدو أن هذا العالم قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصرهِ حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني وبأشعار العرب وكلامها صاحب رأي في القراءات وبلغات العرب يحترم أئمة السلف وما أخذ عنهم ، ولا يجيز في القرآن أن يقرأ بكل ماجاز في العربية ؛ لأن القراءة عنده إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف .

★ ★ ★

(١٤٠) جامع البيان ١٧٨/١٢ (١٤١) النمل : ١٠٣ .

(١٤٢) جامع البيان ١٧٩/١٤ . وانظر على سبيل المثال : ١٤٠/٢٥ ، ٢٦١/٧ ، و ١٢/١٣ و ١٢/٢٧ . و ٧٥/١٢ ، ٣٢/٣ ، و ١٥٨/١٢ . ١/٢٢ ، و ٨١/١٤ ، ٢٩٤/٧ و ١٥٣/١٣ ، ١٢٣/١٢ ، ١٣١/١٤ .